Coptology

ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

من رسائل الأب صفرونيوس القصيرة

رسالة إلى الأب صفنيا

"الليتورجية وصلواتنا الشخصية"

الأب صفرونيوس

ترجمة دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٤

www.coptology.org

من صفرونيوس خادم سر الإنجيل المعلَن فيه تدبير الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح مخلصنا، إلى الأب المدبِّر الحكيم صفنيا والأخوة الذين من أجل دعوة الله العليا في المسيح قَبِلوا أن يكونوا تحت النير الهيِّن (حرفيًا الحُلو) من أجل ميراث الملكوت، وأن لا يُستَعبدوا لأركان العالم (غلا ٤: ٣)، بل يلبسوا ثياب جحد العالم، ويسلكوا طريق القديسين.

سلامٌ ونعمةٌ ومحبةٌ في ربِّ المجد، مع طلب صلواتكم، لأننا جميعًا نحتاج إلى الصلاة لأجل حياتنا الحاضرة والآتية أيضًا، هذه التي نراها بالإيمان في خدمة (ليتورجية) الرب يسوع حسب ترتيب وتعليم الرب نفسه.

١- أول كل شيء، إن الهذيذ وتأمُّل قوة الله في الخليقة ضروري لنا جميعًا، لأنه يفتح لنا مجال الرؤية (الثاؤريا)[١] التي نعاين فيها قوة الله وصلاحه وتدبير الخليقة. لذلك السبب، تبدأُ الليتورجية بخلق العالم وتسير بنا ومعنا نحو الخلاص المعلَن في يسوع المسيح.

هكذا نتقدَّم إلى التدبير حيث يُعلَن لنا الكلمة المتجسِّد ربنا يسوع المسيح الذي خلق العالم المنظور وغير المنظور، وجاء واحتجب في الجسد معلِنًا لنا التواضع

(١) الثاؤريا أو الثيؤريا حسب النص القبطي هي رؤية داخلية تقود إليها حياة التأمل.

الإلهي، لأن الذي خلق كل الكائنات من العدم هو ملء الصلاح وهو المحبة بعينها. ومَن لا يبدأ بالثاؤريا الأولى (١) لا يدرِك سِر التدبير المعلَن في يسوع المسيح (٢).

٢- لنسبِّح الله مع كل الخليقة ونمدح الصلاح الإلهي، لأن ذلك يعود علينا بسلامٍ داخليٍّ نحس به في أوقات الشدة. ويطفئ التسبيحُ نارَ الشهوة لأنه ينقلنا إلى جمال الصلاح والمحبة الإلهية التي تُحرِّك فينا طلب "الأبديات"، ويدفعنا نحو الامتلاء من قوة الروح القدس التي تحفظ بتولية الجسد والروح معًا، لأن النَّفسَ تُعاين -بقوة الروح- استعلان الحياة الآتية وترى جمال هذه الحياة فتزهَد في الأمور الأرضية.

٣- يربطُ التدبيرُ الثاؤريا الأولى بالثاؤريا الثالثة، أي تأمُّل طبيعة وجوهر الثالوث على قدر ما يطيق العقل الإنساني، وعلى قدر أو حسب نقاوة القلب، لأن الآب الصالح لا يُرغِم أيَّ مؤمنٍ به على قبول ما لا يطيق.

والتدبير يشبه ذراعي الإنسان؛ ذراعٌ ممدودةٌ نحو الخليقة، وذراعٌ ممدودةٌ نحو الثالوث. الذراع الأولى الممدودة نحو الخليقة مُستَعلَنةٌ في ناسوت الرب لأنه هو ذراع

---

(١) الثاؤريا الأولى أي الهذيذ، وهي تأمُّل الكون الذي تغنَّى به سفر المزامير عن تسبيح الخليقة لله واهب كل العطايا (مزمور ١٤٧ على سبيل المثال لا الحصر). ويقول الأب صفرونيوس في رسالته عن بتولية الروح وبتولية الجسد، بند ٤٧: "سبق وذكرت من قبل إن تأمُّل الخليقة، أي الهذيذ الأول ودرجة المعرفة الأولى (الثاؤريا الأولى)، تغرسُ في القلبِ الإيقان بقوة الله وقدرته، وتعطي لنا بذرة الشعور بحضور الله في الخليقة وإنه هو ضابط الكل".

(٢) يقول الأب صفرونيوس في رسالته عن الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة أبدية: "أعلن الربُ أساس الثاؤريا، ثاؤريا التدبير على ثلاث مراحل: أولاً: بالميلاد من الروح القدس، ومن العذراء القديسة مريم، أي ثبات الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بواسطة الروح القدس الذي قدَّم له الناسوت من والدة الإله. ثانياً: بمسحة الروح القدس وبالصلب وبالقيامة حيث اشترك روح الحياة في غلبة الموت بالصليب، وفي هبة الحياة العديمة الفساد؛ لأن عطية الجسد والنفس الإنسانية بواسطة الروح القدس في التجسُّد، كمُلت بغلبة الموت والفساد. ثالثاً: بالصعود ودخول السماء عينها، ولأن الروح مسح الابن المتجسِّد، أي اشترك معه في كل تدبير الخلاص معلناً لنا بعد ذلك شهادته عن تجسد الرب وموته المحيي وقيامته المقدسة. راجع الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة أبدية، ص ١٤٥ وما بعدها.

الآب الذي به كُوِّنت كلُّ الأشياء. والذراع الثانية هي أقنوم الابن الذي به استُعلِنت المحبة الثالوثية التي في الآب، والمعلَنة بالابن والتي تنسكب بالروح القدس.

هذا التشبيه لا يقود إلى انفصال اللاهوت عن الناسوت، لأن الإنسان الكامل لا يحيا بذراعٍ واحدة، ولأن الابن له المجد جاء بالملء، أي الكمال، فأعلن بذلك وحدة السماء والأرض، وهي الوحدة التي هدمها آدم الأول بالسقوط واستردها وأكملها الابن المتجسِّد آدم الثاني الذي جاء، ليس فقط بالتجديد، بل بثبات الملائكة والبشر في التقديس، لأننا بالشركة في حياته، ننال الثبات ليس كقوةٍ فاعلةٍ منّا، بل كقوةٍ ونعمةٍ آتيةٍ من الرأس، رأس الجسد، الخليقة الجديدة التي هي جسد المسيح الكنيسة التي وُحِّدت وشُفيَت من كل أنواع الانقسام.

٤- يجمعُ الابنُ له المجد كلَّ الخليقة، لا سيما البشر أو بشكل خاص البشر الذين لأجلهم تجسَّد وصار كواحدٍ منّا. لأنه أخذ جسدًا مثل أجسادنا، فأشرك ما هو أرضي ووحَّده بما هو سمائي، وتقدَّمت الخليقة نحو الكمال في يسوع المسيح لأنه عندما أخذ الناسوت من والدة الاله القديسة مريم أسَّس بذلك الثبات الأول، أي الطبيعة التي تنمو فيه وبه ساعيةً إلى المحبة وطاعة البنوة، وبذلك جعل ما هو إنساني ثابتٌ في شركة الثالوث.

والثبات الأول هو أول عطية وُهِبَت للإنسانية في يسوع المسيح، وعليها جاء الثبات الثاني، وهو "التبرير"، أي الثبات في البرِّ الإلهي بسبب صلاح الله، وليس بسبب صلاح الإنسان، وهو ما يكمِّل ويحفظ الشركة في الثالوث.

والثبات الثالث هو الحياة الأبدية، وهي ليست -كما يظنُّ العامةُ والجهلاء من الناس- هي عدم الموت، لأن الحياةَ لا تُوصَف بكلمةٍ سلبيةٍ، أي "عدم"، بل هي

دائمًا، وبسبب الشركة في طبيعة الله تنال ما هو دائم، فهي الحياة الدائمة الثابتة في الفرح والمحبة والسلام، وهي كما يقول الرسول هي ثمار سُكنى الروح القدس فينا (رو ١٤: ١٧)، لأن الحياة إذا زُرِعَت فينا من الله، فهي تُزرَع لكي تنمو وتُثمر وتعطي الثمر المطلوب.

٥- أمَّا القول بالثبات الأول والثاني والثالث، فهو من أجل الإيضاح والاستنارة، لأن الله لا يعطي الروحَ بمكيال (راجع يوحنا ٣: ٣٤)، بل حسب عادة الآباء معلمي المسكونة، الذين من أجل الاستنارة، كتبوا بالتفصيل دون تقسيم الإيمان إلى أول وثان وثالث، لأن هذا التقسيم غير كائن في نعمة الله، بل كائنٌ فقط في التعليم من أجل قبول الحقيقة.

٦- وعندما نقول عن الآب إنه الأقنوم الأول والابن هو الأقنوم الثاني والروح هو الأقنوم الثالث، فإننا لا نعني بالأول المتقدِّم، والثاني أي الذي في الوسط بين الأول والثالث. هذه سذاجةٌ لا تليقُ بالبالغين.

٧- جَمَعَ الربُّ يسوع الخليقة المنظورة في كيانه الإلهي المتجسِّد. جمعها أولًا حسب علاقة كل مخلوق بالله، إذ جعل هذه العلاقة الطبيعية هي أساس الصلة الجديدة بالله الثالوث. فالإنسانُ، إذ هو مخلوقٌ على صورة الله ومثاله (تكوين ١: ٢٦) نال نعمة التشبُّه بالله، ومن أجل تجديد هذه النعمة جاء الابن الكلمة وتجسَّد لكي يُجدِّد صورة الله فينا، ولذلك فكلُّ إنسانٍ هو مدعوٌّ لأنْ يكون جديدًا. هذه الحياة الجديدة نابعة من اتحاد اللاهوت بالناسوت، لأن اللاهوت هو مصدر كل غنى ومجد وحياة ونعمة، إذ يُعطي الكل حسب "غناه"، ولا يعيِّر أحدًا بالعطاء، ولذلك السبب وحده، فإننا -من لاهوت رب المجد- ننال بسبب توسُّط ناسوتِه كلَّ غنى اللاهوت.

وعندما يشعُّ نور نعمة الله في يسوع المسيح، فإننا نأتي إليه لننال منه العلاقة الجديدة، وهي هنا وحسب "التسليم"، علاقة التجديد التي تتم في هذا الدهر، وتنمو كاملةً نحو الكمال الذي لأجله أدركنا الربُّ يسوع المسيح في الدهر الآتي. هذه العلاقة الجديدة تعتمد على المسيح يسوع نفسه، فهو الأساس أو حجر الزاوية الذي يربط البناء كله. هذه العلاقة تبدأ بالمسيح يسوع ربنا وتنتهي عنده. هو يمدُّ يديه نحونا لكي يقبلنا هنا ونستقر في أحضان الآب في الدهر الآتي.

٨- وعندما يقول الرسول إننا واحدٌ في الرب، أو إننا أعضاء جسده، فهو يعني أننا جميعًا على صلةٍ وشركةٍ واحدةٍ لا تعدُّدَ فيها. والتعدُّد في المواهب لا يلغي الشركة، بل هو من أجل شركة الأعضاء الواحدة في الجسد الواحد قد أعطى لنا نفس الشركة لكي يبقي تعدُّد المواهب وتنوُّعها هو ما يجمع الكل تحت رأسٍ واحدٍ هو يسوع المسيح.

٩- جاء التجسُّد بأساس الخلاص، والمعمودية في الأردن بالمسحة، والصليب بالمصالحة، والقيامة بالخلود في حياتنا الجديدة التي حدَّدها الربُّ على الصليب.

فبالتجسُّد عادت الخليقة إلى الله. وبالمعمودية صار لها شركةً في الروح القدس. وبالصليب جاءت المصالحة لكي تفتح لنا كنوز اللاهوت معلِنًا لنا الثالوث القدوس أنه لا يرفض الخطاة، بل يعمل فيهم من خلال الابن، لأن الرب يسوع المسيح أدخلنا إلى شركة الآب بالروح القدس وأعطانا رسمًا **тѵπος** جديدًا لأن الذي يجمعنا في

سيناكس المسيح[١] هو الحياة الجديدة التي رُسِمَت في المسيح رب المجد والمعلَنة لنا في الليتورجية المقدسة.

لذلك، علينا أن نتبع رسم الليتورجية في صلواتنا الخاصة التي تبدأ بالخليقة وبالشكر والتمجيد، ثم بالخلاص في يسوع المسيح، ودخول التقديس وأرض الموعد لكي تنتهي بالاستقرار في أحضان الآب.

١٠- هكذا نعبُر حسب الرسم **τϒποc** من الثاؤريا الأولى إلى الأخيرة، ليس بصعودِ سُلَّمٍ له ثلاث درجات، بل بتحوُّلٍ داخلي، ورؤيةٍ وبصيرةٍ تجعلنا ننتقل من الضعف إلى القوة، ومِن تشتُّت الفكر إلى تذوُّق إحسانات ونعمة الله، ومن الحياة التي تخضع للحدود الزمان والمكان إلى الحياة الليتورجية التي تعلو على الزمان بسبب عمل الروح القدس، وتعلو على المكان بسبب انتقال حياتنا من آدم الأول إلى آدم الأخير الرب يسوع المسيح.

(١) نقلنا الكلمة اليونانية القبطية كما هي بحروف عربية، وهي تعني اجتماع المؤمنين معًا لتوزيع جسد الرب ودمه. وقد يعني الكاتب شركتنا في جسد المسيح التي أساسها في التجسُّد، ونأخذها في الإفخارستيا التي توحِّدُنا بالرب في جسدٍ واحد.